

الأكاديمية الأوروبية للتراث القبطي

The European Academy for Coptic Heritage

(TEACH)

كيف يُستخدم الخبز المختمر في تأسيس الإفخارستيا أثناء إقامة الفصح؟

سؤال: كيف استخدم السيد المسيح الخبز المختمر في تأسيس سر الإفخارستيا في حين أن الفصح اليهودي لم يكن مسموحاً فيه إلاً بالفطير فقط؟ وهل عمل المسيح العشاء الرباني قبل موعد الفصح، ثم عمل الفصح اليهودي في يوم آخر؟ وهل تناول يهوذا من جسد الرب ودمه أم لم يتناول؟

الإجابة: عيد الفصح هو من أهم أعياد اليهود السنوية، فهو تذكارة التحرر من العبودية في مصر. وهو العيد المعروف باسم أول أيام الفطير، والذي فيه «يذبحون الفصح» أي يذبحون الحمل وهو الخروف الصغير، حيث يذبحونه بعد ظهر يوم ١٤ نيسان/ إبريل. ويستمر الاحتفال بهذا العيد لمدة سبعة أيام، يأكلون في أثنائها فطيراً فقط.

يحدّد سفر اللاويين (٤:٢٣) أن عيد الفصح يكون في الشهر الأول (أي شهر نيسان/ إبريل) في الرابع عشر من الشهر، بين العشاءين. ولتوضيح تعبير «بين العشاءين» يلزم أن نعرف أن اليوم اليهودي يتدبأ من غروب شمس اليوم السابق له. أي أن يوم السبت مثلاً يتدبأ من غروب شمس اليوم السابق له، وهو يوم الجمعة، وينتهي مع غروب شمس يوم السبت.

ويستمر الاحتفال بهذا العيد سبعة أيام، حيث نقرأ في سفر الخروج (١٥:١٢) «سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم، فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقطع تلك النفس من إسرائيل».

ولكي أجيب على السؤال المطروح، يلزم أولاً أن نحدّد اليوم من أيام الأسبوع الذي أقيم فيه الفصح الأخير في حياة المسيح على الأرض، أي في السنة التي صُلب فيها. ونحدّد أيضاً اليوم من أيام الأسبوع الذي أسس فيه السيد المسيح سر الإفخارستيا في نفس هذه السنة المذكورة.

عندما نراجع ما أوردته الأناجيل المقدسة عن وقت عيد الفصح في هذه السنة والذي يلزم أن يكون في الرابع عشر من نيسان/ إبريل، نعرف أنه كان يوم سبت، أي بدبأ من غروب شمس يوم الجمعة ١٣ نيسان/ إبريل وحتى غروب شمس يوم السبت ١٤ نيسان/ إبريل.

يقول إنجيل القديس متى (١٧:٢٦) «في أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له: أين تريد أن نُعد لك لتأكل الفصح؟». ويوضح إنجيل القديس مرقس (١٢:١٤) بأكثر تفصيل فيقول: «وفي اليوم الأول من الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونُعد لتأكل الفصح؟». ويوضح إنجيل القديس لوقا (٨، ٧:٢٢) بتفصيل أكثر حيث يقول: «وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح. فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً: اذها وأعداً لنا الفصح لتأكل».

ولقد وقع عيد الفصح المذكور في الآيات السابقة في يوم سبت. وقد عرفنا ذلك من إنجيل القديس يوحنا، لأنه بعد أن قال المسيح وهو على الصليب «قد أكمل»، ونكس رأسه وأسلم الروح (يوحنا ١٩:٣٠) يقول يوحنا البشير (٣١:١٩): «ثم إذ كان استعداداً، فلن يكون لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً... إلخ». وكلمة "استعداد" مقصود بها الاستعداد لعيد الفصح، وهو مصطلح مشهور جداً يُعرف في اليونانية باسم παρασκευή (باراسكيفي). وهو الاسم القديم الذي أعطاه اليهود ليوم الجمعة، ويعني حرفياً "اليوم السابق - The day preceding" أي اليوم السابق للسبت، والذي يعني فعلياً "الاستعداد للسبت". هذا من جهة، ومن جهة أخرى تذكر الآية السابق ذكرها تعبير "لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً"، كان عظيماً لأنه بحسب الشريعة الخاصة بالسبت، لا يجوز أن تبقى جثة المعلق على خشبة في يوم السبت، فنقرأ في سفر التثنية (٢٢:٢٢، ٢٣) «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقت على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق معلون من الله، فلا تُنجس أرضك التي يعطيك الرب

إلهك نصيباً». وكان هذا السبب عظيمًا أيضاً لأنه وافق في هذه السنة عيد الفصح.

إذاً كان عيد الفصح اليهودي في هذه السنة يوم السبت ١٤ نيسان/إبريل، وهو اليوم الذي يبدأ مع غروب شمس يوم الجمعة ١٣ نيسان/إبريل، وينتهي مع غروب شمس يوم السبت ١٤ نيسان/إبريل. وعلى ذلك حين نقرأ في إنجيل القديس يوحنا (١:١٢، ٢) «ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا، حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات، فصنعوا له هناك عشاء، وكانت مرثا تخدم وأما لعازر فكان أحد المتكلمين معه... إلخ». لا بد أن هذا كان مساء السبت، لأن الفصح كان مساء يوم الجمعة التالي. وبناء على ذلك أيضاً فقول يوحنا البشير (يوحنا ١٢:١٢، ١٣) «وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع أت إلى اورشليم، فأخذوا سعف النخيل وخرجوا للقاءه» يعني أن السيد المسيح دخل إلى اورشليم في يوم الأحد السابق مباشرة لعيد الفصح الذي وقع في يوم السبت في هذه السنة.

كما نعرف أيضاً من الأناجيل المقدسة، أن السيد المسيح عمل الفصح قبل مواعده بيوم واحد، أي عمله في يوم الجمعة ١٣ نيسان/إبريل وهو اليوم الذي يتدنى من غروب شمس يوم الخميس ١٢ نيسان/إبريل، وينتهي مع غروب شمس يوم الجمعة. وفي يوم الخميس مساءً خرج إلى بستان جنسيمياني حيث قبض عليه واستمرت محاكمته طوال الليل حتى قرب فجر يوم الجمعة، وفي منتصف يوم الجمعة رُفِعَ على الصليب، حيث أسلم الروح ودفن في القبر قبل غروب شمس يوم الجمعة.

وما يؤكد مجدداً أن المسيح عمل الفصح قبل مواعده هو قول القديس يوحنا الرسول (يوحنا ١:١٣) «أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى منتهى، فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه... إلخ». هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن المسيح بعد أن قال ليهوذا في العشاء الأخير: «ما أنت تعمل فاعمله بأكثر سرعة» يعقب القديس يوحنا بقوله: «وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكلمين لماذا كلمه به، لأن قوماً إذ كان الصندوق مع يهوذا، ظنوا أن يسوع قال له: اشتر ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يعطي شيئاً للفقراء» (يوحنا ١٣:٢٧-٢٩).

ولكن ما هو الوقت الذي أسس فيه السيد المسيح سرّ الإفخارستيا، أي العشاء الرباني؟ لقد تأسس هذا السرّ العظيم من داخل عشاء الفصح اليهودي، أي أثناء تيمم مراسيم عشاء الفصح اليهودي، وهو ما عرفناه من إنجيل القديس متى (٢٦:٢٦) «وفيما هم يأكلون (أي يأكلون الفصح) أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ، وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي». وهو نفس ما يذكره أيضاً إنجيل القديس مرقس (٢٢:١٤). أما القديس لوقا (١٩:٢٢) فيقول: «وأخذ خبزاً وشكر وكسّر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري». وأما الكأس الرابعة والأخيرة التي كانت تُقدّم للمدعوين في عشاء الفصح اليهودي، والمعروفة باسم "كأس البركة" فعندما بارك عليها المسيح قال لتلاميذه فجأة: «هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦:٢٨). ويوضح القديس لوقا الأمر بأكثر توضيح فيقول: «وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» (لوقا ٢٢:٢٠). وهكذا تأسس سرّ الإفخارستيا بخبز محتمر لأن موعد الفصح اليهودي لم يكن قد حان بعد. وهكذا أبطل المسيح بعهد جديد بدمه عهداً عتق وشاخ.

أما عن تناول يهوذا الإسخريوطي من عدمه، فهي قضية ليست ذات أهمية على الإطلاق. وبدراسة الأناجيل المقدسة لا نستطيع أن نقطع بصفة مطلقة إن كان قد تناول أم لا. ففي إنجيل القديس يوحنا (٢٦:١٣) بعد أن غمس المسيح اللقمة وأعطاهم ليهوذا خرج يهوذا وكان ليلاً. وتغميس لقمة أو قطعة لحم في صحن به مزيج من عصير الفواكه الممزوجة بالنيذ أو بالخل عند الفقراء، هو تعبير عن حسن الضيافة. وهو ما نقرأه في سفر راعوث (١٤:٢) «قال لها بوعز عند وقت الأكل، تقدمي إلى ههنا وكلي من الخبز واغمسي لقمتك في الخل». ولكن متى فعل المسيح ذلك الأمر، هل بعد تيمم سرّ الإفخارستيا أم قبله؟ ففي إنجيل القديس متى (٢٠:٢٦-٢٦) نعرف أن ذلك حدث قبل تأسيس سرّ الإفخارستيا، فبعد قول السيد المسيح «الذي يغمس يده معي في الصحن هو يسلمني» بدأ في تأسيس سرّ الإفخارستيا. وهو نفس ما نقرأه في إنجيل القديس مرقس (١٧:١٤-٢٢). أما في إنجيل القديس لوقا (١٩:٢٢-٢٣) فقد حدث ذلك بعد تأسيس سرّ الإفخارستيا.